الفصل الثالث

منهج المستشرقين في نقد الإسناد عرضا ونقدا

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : بعض مقاييس المستشرقين في معرفة الروايات الصحيحة والضعيفة ونقدها .

المبحث الثاني : اعتماد المستشرقين على المصادر غير المتخصصة في الحديث ونقدهم في ذلك .

الفصل الثالث

منهج المستشرقين فى نقد الإسناد عرضا ونقدا

المبحث الأول

بعض مقاييس المستشرقين

فى معرفة الروايات الصحيحة والضعيفة ونقدها

بعض مقاييس المستشرقين فى معرفة الروايات الصحيحة والضعيفة ونقدهـــا .

لقد كان للمستشرقين مقاييس واستدلالات يطبقونها على الروايات الصحيحة والضعيفة وبعض الآثار والحوادث لكى ينسبوا ذلك الأمر إلـــى مصالحهم ومن ثم يبنون عليها بعض الأحكام التخيلية التى تساند مزاعمهم حول السنة، وبذلك يحرفون هذه الأدلة على ذلك المعيار، وقد استنبطت هذه المقاييس من بعض الأدلة التى وقفت عليها والواردة على لسانهم، وقد أجملتها كما يلى :

١ ـــ الحكم على الأحاديث بالوضع قياسا على حكمهم بوضع حديث واحد صحيح .

٢ ـــ تصحيح الضعيف من الأحاديث تبعا للرضا عن مدلولهـــا .

٣ ـــ الاعتماد على التحليل العقلي فى غير موضعه فى إثبات وضع الحديث .

٤ ـــ التخيل العقلى فى إثبات صحة الرواية أو ضعفـــها .

٥ ـــ اعتمادهم على المصادر الضعيفة .

٦ ـــ اعتمادهم على نظرية النتائج قبل المقدمات .

٧ ـــ التحريف فى الآثار لتجريح الرجال .

وهذه بعض المقاييس التى توصلت إليها، ولكن ربما بهذه المقاييس نكون قد عرفنا الطريق التى تبين لنا منهج المستشرقين حول تراثنـــا الإسلامى ومزاعمهم تجاهه .

وسأعطى بكل مقياس لمحة سريعة مع تمثيل لكل واحد بمثال أومثالين، وحتى نتعرف كيف سلك بعض المستشرقين هذا المسلك لكى يصلوا إلـــى ما يرمون إليه .

وقد برز فى هذه المقاييس جولد تسهير ، وجب وغيوم ونيكولسن ، ومنستك ولفنسون ووات ، وغيرهم، فإلى الحديث عن هذه المقاييس :

١ــ الحكم على الأحاديث بالوضع قياسا على حكمهم بوضع حديث واحد صحيح .

هذا المعيار قد أخذ به جولد تسهير (١) بناء على حكمه حول حديث " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد " (٢) .

ثم قاس عليه جميع الأحاديث الواردة عن علماء الشام ومن ثم حكم عليها بالوضع (٣) .

فهذا المقياس خطأ، لأن المستشرق جعل من نفسه حاكما بقبول الحديث وعدم قبوله، لأنه نظر إلى الحديث من زاوية واحدة وانطلق من هذا الحكم على بقية الأحاديث بناء على أمور يتصورها في ذهنه ووضع الحكم لها مسبقا قبل النظر إلى أقوال العلماء النقاد عن الإمام الزهري ولم ينظر إلى القرائن الثابته حول هذا النص لأن الحديث قد رواه جمع كثير يحيل العادة تواطؤهم على الكذب، وربما يصل إلى درجة التواتر، كما أنه لم يأت من طريق واحد، وإنما روى من تسع عشرة طريق، وهكذا فالمستشرق جولد تسهير " حكم على طريق واحد وترك الطرق الأخرى، ومن ثم أصدر الحكم حول هذا الحديث ينطلق نحو الأحاديث الثابتة المروية عن علماء الشام وغيرهم .

(١، ٢) انظر العقيدة والشريعة لجولد تسهير (ص ٥٠ ــ ٦٤) .

(٣) جولد زيهر (١٨٥٠ــ١٩٢١) (Gold Ziher, I.)

يهودي مجري عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه .
تخرج في اللغات السامية على كبار أساتذتها في ليدن ، من محرري دائرة المعارف الإسلامية .
من آثاره : " تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي " ، " العقيدة والشريعة في الإسلام " ، " دراسات إسلامية " .
انظر : المستشرقون (٣ / ٤٠ ــ ٤٢) والاستشراق والمستشرقون (ص ٣١ ــ ٣٢) .

إذًا فالحديث لم يأت عن طريق أهل الشام فحسب، وإنما عن رواة ثقات عاشوا فى المدينة والعراق ومصر وغيرها من الأمصار، إضافة إلى أن المستشرق ركز على رواية الزهرى ليتنال من هذا العالم، لأنه كان الركن المهم لحفظ السنة فى الشام، فتلامذته تبع له بهذا الجرح، لكن المستشرق أخطأ بقياسه هذا، لأن الحكم على الفرد لا يسرى مفعوله إلى الجماعة، مع أن هذا الفرد كان من جلة النقاد وأهل الصنعة .

كما أن هذا الحديث قد تلقته الأمة بالقبول مع وروده فى كتب الصحاح .

٢ — من مقاييسهم تصحيح الضعيف من الأحاديث تبعا للرضا عن مدلولها .

هذا المعيار يغاير الأول، حيث إنه فى هذا المعيار يعتمد الحكم على بعض الروايات الضعيفة لرفعها إلى درجة الصحيح، وهم يريدون إدخال السم فى العسل لكي يتسنى لهم بذلك هدم السنة، وقد برز فى هذا المعيار " جولد تسهير" و " غيوم " و " نيكولسن " (١) و " وات " ويدل على ذلك هذه المزاعم التى أطلقوها فى كتبهم :

---

(١) نيكولسن (Nicholson, R.A.)
مستشرق إنجليزى تخرج فى كلية ترينتي - كمبريج أخذ العربية على روبرتسون سميث والفارسية عن أدوارد براون من محررى دائرة المعارف الإسلامية .
من آثاره : التصوف الإسلامى ، كتاب القراءة العربية ، الأدب العربى فى ضوء التاريخ السياسى والعمرانى للعرب والإسلام ، دراسات فى التصوف الإسلامى .
انظر : المستشرقون (٢ / ٢٩٢) والاستشراق والمستشرقون (٣٧)

— يقول " جولد تسهير " و " غيوم " و " نيكولسن " إن حديث " سيكثر الحديث عني، فمن حدثكم بحديث فطبقوه على كتاب الله، فما وافقه فهو عني قلته أو لم أقله ". (١)

وقد صححه هؤلاء المستشرقون واستدلوا به وبأمثاله من الموضوعات، على أن العلماء الأتقياء (٢) كانوا يضعون الأحاديث فقد كان ذلك العمل مرضيا عندهم بل قربه في سبيل قيام شريعته ". (٣)

فهذا الحديث قد نقده علماء الحديث وحكموا عليه بالضعف بناء على أنها رواية منفردة منقطعة وقد قال الشافعي عنه : " ما روى هذا أحدا . . . حديثه في شيء صغير ولا كبير وإنما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء ". (٤)

وقال فيه عبد الرحمن بن مهدي: "إنه من وضع الزنادقة " .

وقال البيهقي أيضا : " والحديث الذي روى في عرض الحديث على القرآن باطل لا يصح وهو ينعكس على نفسه بالبطلان فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن ".

وقال الشاطبي عند الكلام عن هذا الحديث : "إن الحديث وحي من الله لا يمكن فيه التناقض مع كتاب الله ". (٥)

---

(١) انظر دراسات في الحديث النبوي لجولد تسهير ترجمة (ص ٩٨) وانظر الجاحظ في البيان (ص ١١٤) .

(٢) معنى العلماء الأتقياء عنده : الشيعة والخوارج . انظر : دراسات حول جولد تسهير (ص ٥٢٨)

(٣) انظر Gold Ziher,I.: Mohammadan Studies,p.48.
Guillaume,A.: The Tradition of Islam,p.53-54.
Nicholson,R.A.: A Literary History of the Arabs, p. 146.

(٤) انظر الدفاع عن الحديث النبوي (ص ١٠٨)

(٥) انظر المصدر السابق .

وبناء على هذه الأقوال فإن الحديث باطل لا أصل له،وقد رده بعض النقاد وحكموا عليه بذلك .

ولأن الحديث يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقصير في أمور الدين والله سبحانه وتعالى يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم) (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي ". (٢)

وقد اعتمد المستشرقون على هذا الحديث المقطوع وصيروه صحيحا بغض النظر عن أقوال المحدثين حول الحديث وسنده وبغض النظر عن أصول قبول الرواية وردها عند المحدثين .

٣ — من مقاييسهم اعتمادهم على التحليل العقلي في غير موضعه في إثبات وضع الحديث،لقد اعتمد بعض المستشرقين على هذا المعيار لكي يحكموا على الأحاديث الصحيحة بالضعف أو بالوضع وذلك بناء على حلول أوجدوها في أذهانهم،ومن ثم يطبقونها على الرواية الصحيحة بغض النظر عن وجودها في كتب الصحاح مع أنه لم يكن لهم معرفة سابقة بمراد الحديث أو سبب وروده بل يأخذون تلك الحلول المأخوذة من تلك الفترة التي يردونه إليها والتي يجمعونها من عند أنفسهم ضاربين بأقوال علماء الحديث عرض الحائط حول هذا النص، وقد برز في هذا المعيار بعض المستشرقين "كجولد تسهير" و " وفنسنك " وجب " و"نيكولسن"، فكل منهم أخذ حديثا صحيحا ووضع له قرائن عقلية تدل بزعمه أن الحديث موضوع ومن تلك الأمثلة :

---

(١) سورة المائدة آية (٣) .

(٢) انظر سنن ابن ماجه (١ / ١٠٢٥) باب ٨٤ ك ٢٥ ومسند الإمام أحمد (٣ / ٢٦) .

١ — ما زعم جولد تسهير " بأن الحديث " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد " . (١)

موضوع،واحتج على وضعه بأن الزهرى انفرد به وكان صديقا لعبد الملك بن مروان،هذا وهو الذى بنى قبة الصخرة فى القدس ليصرف الناس عن حج بيت الله الحرام زمن فتنة ابن الزبير فجعل الناس يطوفون حوله كما يطوفون حول الكعبة ". (٢)

فالمعيار خاطئ،لأن الصداقة بين الملوك والعلماء لا تجعل الطرف الثانى يفترى على الدين بناء على هذه العلاقة، فموقف الزهرى بالذات تجاه الخلفاء معروف وقد ذكره العلماء وأشاروا إليه فى كتب التاريخ الإسلامية، وقد كانت العلاقة سائدةً فى تلك الفترة وغيرها باتصال الخلفاء بالعلماء لكى يعرفوهم الفرق بين الحق والباطل .

وبالنظر إلى الحقائق التاريخية حول هذا النص والفترة التى ادعى جولد تسهير وضع هذا الحديث بأن الزهرى لم يكن فى تلك الآونة قد بلغ أشده فى العلم، بل كان شابا فى سن العشرين أو أكثر،كما نقل بعض المؤرخين من المسلمين ولم يلتق بعبد الملك إلا بعد ثمان سنوات من بناء القبة . ولكن المستشرق جولد تسهير أراد أن يحكم على الرواية بالضعف بناء على تخيل عقلى وضعه فى ذهنه،ومن ثم انطلق منه نحو هذه الرواية، وهذا الأمر لم يسلم به نقاد الحديث إضافة إلى أنه قد روى هذا الحديث

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (٦٣/٣).

(٢) Gold Ziher,I.: Mohammadan Studies, II, p. 35.

كثير من الصحابة كما روى من تسع عشرة طريق مع وروده فى صحيح البخارى الذى هو أصح كتاب بعد كتاب الله ـ وتلقته الأمة بالقبول . (١)

٢ ـ وقد كذب " جب " (٢)

حديث " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ". (٣)

قائلا " إن كثرة الوضع أزعج المحدثين أن يردوه بوضع هذا الحديث . (٤)

وإذا نظرنا إلى هذا الحديث ـ سندا ومتنا ـ رأينا أن المحدثين قد تواتروا على روايته، حيث رواه جمع كثير .. يحيل العادة تواطؤهم على الكذب، وتلقته الأمة بالقبول كسابقه .

---

(١) Gibb,H.A.R.: Mohammadanism, P.82-84.

(٢) جب هـ. أ.ر (١٨٩٥ ـ ١٩٧١) (Gibb,H.A.R.)

من مستشرقى إنجلترا المعاصرين ، عضو المجمع العلمى فى دمشق والمجمع اللغوى فى مصر وأستاذ الدراسات الإسلامية والعربية فى جامعة هارفرد الأمريكية . من كبار محررى وناشرى دائرة المعارف الإسلامية .

من آثاره : الاتجاهات الحديثة فى الإسلام ، والإسلام والمجتمع العربى " والمذهب المحمدى "

انظر : المستشرقون (٢ / ١٢٩ ـ ١٣١) والاستشراق والمستشرقون (ص ٣١) .

(٣) صحيح البخارى مع الفتح، كتاب العلم باب من كذب على رسول الله (١ / ٢٠٠)

فهل نقبل قول المستشرق فى حكمه الذى بينه فى عقله،ومن ثم إصدره على هذا الحديث الصحيح الذى خوف الصحابة واحتاطوا من الوقوع فى الكذب كما تبعهم فى ذلك الأمة لكى لا يكونوا من الذين توعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار .

وبناء على هذه المقاييس التى انتهجها بعض المستشرقين وأعملوا فيها آراءهم ليصلوا بذلك لتضعيف الحديث وتصحيحه أو جرح رجل من رواته أو بتوثيقه حتى يتسنى لهم بذلك هدم السنة أو النيل منها،فقد عبر عن هذه المقاييس جواد على بقوله :

" لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف فى بعض الأحيان وحكموا بموجبه واستعانوا بالشاذ الغريب فقدموه على المعروف والمشهور واستعانوا بالشاذ ولو كان متأخرا أو كان من النوع الذى استغربه النقاد وأشاروا إلى نشوزه وتعمدوا ذلك لأن الشاذ هو الأداة الوحيدة فى إثارة الشك ".(١)

ويقول : " إن كيتانى وهو من كبار المستشرقين الأوائل الذين كتبوا عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعتمد منهجا معكوسا فى البحث يذكرنا بكثير من المختصين الجدد فى حقل التاريخ الإسلامى والذين يعملون وفق منهج خاطىء من أساسه إذ أنهم يبنون فكرة مسبقة ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكى يستلوا منها ما يؤيد فكرتهم ويستبعدون ما دون ذلك، فلقد كان كاتيانى ذا رأى فكرة وضع رأيه فى السيرة قبل الشروع فى تدوينها فلما شرع بها استعان بكل خبر من الأخبار ظفر به ضعيفها وقويها وتمسك بها كلها ولاسيما مايلائم رأيه ولم يبال بالخبر الضعيف بل قواه وسنده وعده حجة وبين حكمه عليه ومن يدرى فلعله كان يعلم بسلاسل الكذب المشهورة

---

(١) تاريخ العرب فى الإسلام لجواد على (١ / ٩٥)

والمعروفة عند علماء الأمة ولكنه عفا عنها وغض نظره عن أقوال أولئك العلماء فيها، لأنه صاحب فكرة يريد إثباتها بأى طريقة كانت وكيف تمكن من إثباتها وإظهارها وتدوينها ؟ إذا ترك تلك الروايات وعالجها معالجة نقد وجرح وتعديل على أساليب البحث الحديث ". (١)

٤ — اعتمادهم على التخيل العقلى فى إثبات صحة الرواية وعدمها لا شك أن بعض المستشرقين يعتمدون على روايات ضعيفة ثم يقومون بالتخيل العقلى لإثبات صحتها بغض النظر على صحتها أو ضعفها، وقد كان من هؤلاء المستشرقين الذين استعملوا هذا المقياس " وات " حيث قال : " إن زيارة محمد لحراء وهو جبل قريب من مكة يصحبه عائلته أو بدونها ليست مستحيلة، ويمكن أن يكون ذلك القرار من أتون المدينة (٢) خلال فصل الصيف للذين لا يستطيعون التوجيه إلى الطائف يمكن للتأثير اليهودى والمسيحى، ولا سيما مثل الرهبان أو تجربة شخصية لمحمد أن يكون قد أثار فيه الحاجة للخلود والرغبة فيها . (٣)

وقد استشف " وات " هذا الزعم بناء على التخيل العقلى الذى قاسه على جوّ مكة حيث كانت مشهورة بشدة الحرارة ثم اعتبر خروج الرسول من مكة هروبا من ذلك، وهذا مخالف للحقيقة، وما ذكرته كتب السيرة الصحيحة حيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يذهب خارج مكة ليتعبد الله فى غار حراء، وليس كما يدعى المستشرق هروبا من شدة الحرارة ولكن كان الله سبحانه وتعالى يهيئه لأمر عظيم وهو حمل الرسالة الخاتمة والخلو صفة من صفات الأنبياء عليهم السلام.

(١) تاريخ العرب فى الإسلام لجواد على (ص ٩٦) وما بعدها .
(٢) الحر الشديد .
(٣) انظر محمد فى مكة (ص ٨١٠) .

إضافة إلى هذا فإن الطائف لم يكن فيها يهود ونصارى كما يدعى هذا المستشرق؛ بل كان هناك مشركون فقط .

فالتاريخ الإسلامى لم ينص على وجود نصارى ويهود بل أخبرنا التاريخ أن الرسول صلى الله عليه وسلم يخلو بنفسه ليعبد الله وليتفكر فى مخلوقاته حتى نزل عليه الوحي، وبهذا المقياس يريد هذا المستشرق أن يصل إلى أن الرسول كان يستمد التعليمات من اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون فى الطائف،فهذا لم يحدث بناء على الروايات الصحيحة التى أخبرتنا على وجود مشركين فقط .

١ — يقول المستشرق هـ.ح . ويلز (١)

عن الرسول صلى الله عليه وسلم " وحدث فى مكة فى قرابة (٥٧٠م) أن ولد محمد صلى الله عليه وسلم مؤسس دولة وله أطفال وكان اسم أحدهم (عبد مناف) أى خادم الرب المكى (مناف) وذا يدل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن قد توصل فى ذلك الوقت إلى اكتشافات دينية وقيل إنه رأى كنائس مسيحية فى سوريا يكاد يكون محققا أنه كان يعرف الكثير عن اليهود وديانتهم أنه استمع إلى سخريتهم من ذلك الحجر الأسود فى الكعبة الذى كانت له السيادة على أرباب القبيلة الثلاثمائة ببلاد العرب"

---

(١) واليس ، جون (١٦١٦—١٧٠٣)

تخرج فى كمبريدج (١٦٤٠) وكلفه مجلس العموم فك رموز الرسائل الغامضة وعين أستاذا للرياضيات فى جامعة أكسفورد (١٦٤٩— ١٧٠٣) .

من آثاره : بحوث العرب عن مبادىء اقليدس ، اللاهوت المؤلفون الرياضيون .

انظر : المستشرقون (٢ / ٤٣) .

ويقول : " لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم دجالا بأى حال وإن كان اعتداده بنفسه يدعو فى بعض الأحيان أن يتصرف كأنما كان الله رهن إشارته وكأنما أفكاره بالضرورة أفكار الله ". (١)

وهذا القياس كالسابق حيث صدر المستشرق مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبنائه ذهنيا ومن ثم أصدر مزاعمه السابقة مغايرة للحقيقة، وما ورد فى كتب السيرة الصحيحة عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبنائه خلافا لما يدعيه المستشرق فى مقاله هذا مع أنه لم يرتكز على مصدر إسلامى ليبرهن على هذا المقال بل اعتمد على التخيل العقلى بغض النظر على الرواية الصحيحة أو الضعيفة .

لقد صدر هذا المستشرق الرسول صلى الله عليه وسلم كشخص عادى بأنه مؤسس دولة وله أبناء خلافا لما كلفه الله به من الوحي، فقد قام بهذا الأمر وأخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله متمشيا ذلك بما أوحاه الله تعالى من الآيات والمعجزات وغيرها .

إضافة إلى هذا فإن الله قدر رزقه الولد وهو معروفون فى كتب السيرة الصحيحة : القاسم وعبد الله وإبراهيم ولم يكن له غير هؤلاء الأولاد وقد توفاهم الله تعالى قبل موته وهذه حكمة يريدها الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم .

٥ — من مقاييسهم اعتمادهم على المصادر الضعيفة :

لو اطلعنا على أبحاث المستشرقين لرأيناها مليئة بالاستشهادات الضعيفة (١) التى يعتمدون عليها من مصادر غير موثقة ثم يصيرونها مصادر صحيحة ومن ثم يأخذون منها مايوافق هدفهم .

---

(١) انظر الغزو الفكرى (ص. ٣٠) لمجموعة من العلماء نقلا عن هـ.ج. ويلز معالم تاريخ الإنسان .

(٢) انظر دراسات فى الحديث النبوى لجولد تسهير حيث أن أغلب اعتماده على كتب الأدب وغيرها من الكتب الضعيفة .

وبمنهجهم هذا يكونون بعيدين كل البعد عن المنهج المدعى عندهم القائم على الموضوعية والحيادة (١) ومن ثم يصرون على طمس الحقائق، وقد برز فى هذا المعيار بعض المستشرقين، ونذكر واحدا منهم وهو " جولد تسهير "، حيث اعتمد على كتاب اليعقوبي فى الحكم على حديث واحد، فمن الأمثلة على ذلك مازعمه هذا المستشرق بأن حديث " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد " (٢) موضوع، واحتج على وضعه بأن الزهرى انفرد به وكان صديقا لعبدالملك بن مروان وعبدالملك هذا هو الذى بنى قبة الصخرة فى القدس ... الخ (٣)

فهذا المستشرق أخذ معياره اعتمادا على أحد مصادر الشيعة وهو تاريخ اليعقوبى الذى حكم عليه نقاد الحديث بأن صاحبه فاسق ولا يقبلون منه البتة، وهذا الرجل أيضا معروف عند علماء الجرح والتعديل .

وهذا المعيار الذى أخذ من مصدر غير معترف به خاطئ، لأن المستشرق اعتمد على كتب غير متخصصة بعلوم الحديث وهكذا تكون جميع الكتب الأدبيه والقصصية وغيرها التى حكم عليها نقاد الأمة بالضعف وعدم الأخذ منها بأى حال من الأحوال " وقد تحدث عبدالرحمن بدوى حول هذا المعيار وضرب مثلا بكتاب منهج البلاغة الذى وضعه الشيعة وقصدوا من ورائه تأكيد مذهبهم وصحته وأن هذا المذهب مما يقوى به الإمام علي ابن أبى طالب رضى الله عنه والفاحص الناقد إذا تملى كثيرا مما فيه

---

(١) انظر التراث اليونانى (ص ١٩٨) لعبدالرحمن بدوى .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ك الصلاة باب الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (٣/٦٣) .

(٣) انظر : Gold Ziher,I.: Mohammadan Studies,p. 51

منسوبا لعلي رضى الله عنه أيقن أنه مكذوب عليه والتزوير والانتحال يكـــون بنسبة كتاب كله إلى شخص وهو فيه برىء، أو تزوير بعض الأقوال والآراء ويعبرون عنه بالحشو والإكمال أى أشياء تدخل على أصل الوثيقة وهي ليست منها، ولقد كان هذا شائعا فى الثقافة الأوروبية فى العصور الوسطى دون أن يذكـــر المكمل للكتاب اسمه وإنما يجعله كأنه من عمل المؤلف الأول ". (١)

٢ — أما البروفسور " وات " فقد اعتمد على بعض الكتب التى أوردت قصة الغرانيق وهذه القصة لها أسانيد منقطعة ومرسلة، فقد ردها علماء المسلمين وحكموا على وضعها . (٢)

قال " وات " : " إن قصة الغرانيق المراد بها فى بعض كتب التفسير فى قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) . (٣)

قصة صحيحة حيث استطاع الشيطان أن يدس آياته المزيفة فـــى القرآن بدون أن يلاحظها الرسول أن القصة فى غاية الغرابة، فلابد أن تكون حقيقية فى جوهرها لا يتصور أن يكون أحد اختلق قصة مثلها ثم أقنـــع جماعة ضخمة من المسلمين أن يقبلوها ". (٤)

فهذه القصة ليس لها أساس من الصحة، وقد ردها علماء الأمة مـــن المحدثين والمفسرين وبينوا زيفها (٥) فالمستشرق أخذ هذه القصة من بعض الكتب غير متخصصة فى الحديث، ومن ثم حكم عليها بالصحة وقاس على هـــذه

---

(١) مناهج البحث العلمى (ص ١٩٩) .

(٢) انظر تاريخ الطبرى (٤/٢٢٦—٢٢٧) ونصب المجانيق فى قصـــة الغرانيق / لناصر الدين

(٣) سورة الحج آية (٥٢) .

(٤) Watt,M.: Muhammad Prophet and Statesmen,p.61.

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٣/٢٢٩) .

الكتب الإسلامية الصحيحة التى هى الميدان الأساسى للحديث النبوى سندا ومتنا .

٦ — اعتمادهم على نظرية المقدمات قبل النتائج .

هذا المعيار يدل على أن بعض المستشرقين يضعون أحكاما فى عقولهم ثم يحولون النص لصالحها بغض النظر عن صحته أو عدمها ، ثم يقومون بدراسة ذلك النص بناء على تلك الأحكام التى اخترعوها قبل أن ينظروا إلى دلالة النص، وقد ظهر فى هذا المقياس " ولفنسون " " ولامانس "، ومن الأدلة على ذلك :

يقول " ولفنسون "(١) :

حول محاولة بنى النضير لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

" لكن المستشرقين ينكرون صحة هذه الرواية ويستدلون على كذبها بعد وجود ذكرها فى سورة الحشر التى نزلت بعد إجلاء بنى النضير والذى يظهر لكل ذى عينين أن بنى النضير لم يكونوا ينون الضرر بالنبى واغتياله على مثل هذه الصورة، لأنهم كانوا يخشون عاقبة فعلهم من أنصاره، ولو أنهم كانوا ينون اغتياله غدرا لما كانت هناك ضرورة لإلقاء الصخرة عليه من فوق الحائط

---

(١) ولفنسون إسرائيل :
الملقب بأبى ذؤيب ، مدرس اللغة السامية بدار العلوم ثم بالجامعة المصرية .
من آثاره : تاريه اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام وتاريخ اللغات السامية ، موسى بن ميمون ، حياته ومصنفاته .
انظر : المستشرقون (٢ / ٤٦٠) .

كان فى استطاعتهم أن يفاجئوه وهو يحادثهم،إذ لم يكن معه غير قليل من أصحابه ".(١)

فهذه القصة صحيحة قد ذكرها أصحاب السير وبعض المستشرقين ، لأنها وقعت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لأن بنى النضير نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر المستشرق ذلك الأمر ، لكنه كان يحلل الحدث على حسب ماوضع له من حكم سابق فى ذهنه ، بغض النظر عن أعمال اليهود مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع الصحابة ومع المسلمين وإلى اليوم وهم يعملون تلك الأعمال حتى يصير الناس لهم عبيداً،وهذا المقياس قد استعمله هذا المستشرق لكى يبرر إخوانه من اليهود بهذا العمل الشنيع ولكن الله قد أظهر فعلتهم فى تلك الحادثة على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

ـ أسقط بعض المستشرقين أجزاء من الأحاديث أو الآثار لغرض وضع له حكماً سابقاً فى ذهنه لكى يسيء بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم أو لغرض النيل من رجال الحديث،ومن ذلك مافعله مرجليون حول حديث " إنما حبب لى فى دنياكم الطيب والنساء "(٢) وبتر عجز الحديث " وجعلت قرة عينى فى الصلاة" حتى يظهر شخصية الرسول مشغوفة بأمور الدنيا ".(٣)

فهذا الحديث صحيح ورد فى كتب السنة وقد قبله رجال الحديث بعد أن نظروا إلى مدى تحقيق شروط القبول فى سنده ومتنه والتى تحكم على الحديث بالضعف أو بالصحة ولكن المستشرق أراد أن يبتر عجز الحديث

---

(١) ولفنسون تاريخ اليهود فى بلاد العرب(ص ١٤٥ـ١٤٦) .

(٢) انظر النسائى ك السهو (٣/ ٦٢) ومسند الإمام أحمد (٢/ ٨٠)

(٣) انظر الاسلام فى مواجهة التغريب (ص ٣٣٦) السنة ومكانتها فى التشريع (ص ٢٢) ومجلة البعث الإسلامى (ص ٩٤) .

فحكمه موجود في ذهنه مسبقا،ثم استخدم النص بناء على تصوره السابق، ومن ثم حذف المهم في الحديث وهو المتعلق بالآخرة وأبقى ما يتعلق بالدنيا ليصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالشهوة،وذلك لكثرة الأزواج التي تحته،وهذا القياس كان ماثل الكفة، حيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل خصيصة التوازن في شؤونه كلها مأكله ومشربه وفي ملبسه ومسكنه وفي عبادته مع ربه لم يغلّب شيئا على حساب شيء آخر، ولهذا فإن المستشرق أراد أن يسلب هذه الخصيصة من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بناء على أحكامه الخاطئة التي لا تعتمد على الموضوعية والحيادة وإنما تعتمد على الهوى والميل بالنصوص عن جادة الصواب .

٧ ـ التحريف في الآثار لتجريح الرجال.

في هذا المعيار أراد بعض المستشرقين أن يحرفوا بعضا من الآثار من العلماء الثقات ليصلوا بذلك إلى تجريحهم وخاصة رجال الحديث الذين حافظوا على السنة ودافعوا عنها وقد حرفوا بعضها بحذف بعض الحروف أو زيادة عليها،ومن ثم يصلون إلى أن علماء الحديث قد وضعوا أحاديث تخدم مصالحهم أو مصالح الدولة،وقد نهج المستشرقون هذا المنهج ليحولوا مجرى الأمور إلى مصالحهم ثم يصدرون المزاعم ضد السنة ورجالها،ونضرب أمثلة على ذلك منها :

أ ـ يقول " جولد تسهير:" إن الزهري اعترف اعترافا خطيرا في قوله الذي رواه عن معمر " إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث"(١) لقد حرف هذا الأثر "جولد تسهير" للوصول إلى أن رجال الحديث كانوا يضعون الأحاديث للدولة .

---

(١) انظر دراسات في الحديث النبوي بجولد تسهير (ص ٣٨ـ٣٩) ترجمة (ص ٨٥) .

ولكن لو نظرنا إلى هذا الأثر فى كتب التاريخ لرأينا خلاف زعمه ، فقد ذكر هذا الأثر ابن عساكر فى تاريخه وابن سعد فى طبقاته " أن الزهرى كان يمتنع من كتابة الأحاديث للناس،ويظهر أنه كان يفعل ذلك ليعتمدوا على ذاكرتهم،فلما طلب هشام وأصر عليه أن يملى على ولده ليمتحن حفظه،وأملى عليه أربعمائة حديث خرج من عند هشام وقال بأعلى صوته،" يا أيها الناس إنا كنا منعناكم أمرا قد بذلنا الآن لهؤلاء وأن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث . (١) فتعالوا حتى أحدثكم بها فحدثهم بالأربعمائة حديث ". (٢)

هذا هو الأثر التاريخى الوارد عن الزهرى مخالفا لما أورده جولد تسهير فى كتابه،ولو جاء كما قال لوافقناه على زعمه ولكن رجال الحديث ونقاده كانوا خلافا لما يظن جولد تسهير فإنهم وقفوا ضد الوضاعين وكشفوا أمرهم للناس جميعا، وهذه منقبة للزهرى حيث تمسك بالمساواة فى رواية الحديث للأمراء وللعامة على حد سواء .

ب ـ ذكر جولد تسهير أثر ورد على لسان عبدالرزاق بن همام عن معمر ابن راشد الذى كان ممن يسمع من الزهرى وهو أن الوليد بن إبراهيم الأموى جاء إلى الزهرى بصحيفة وضعها أمامه وطلب إليه أن يأذن له بنشر أحاديث فيها على أنه سمعها منه،فأجاب الزهرى على ذلك من غير تردد كثير وقال له : من يستطيع أن يخبرك بها غيرى .

---

(١) انظر جولد تسهير حرف الكلمة من (من كتابة الأحاديث) إلى (كتابة أحاديث) .

(٢) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى (ص ٢٢٠) جولد تسهير دراسات فى الحديث النبوى لجولد تسهير(ص ٣٨) ترجمة محمد عبدالناظر (ص ١٥) .

فقد صرف جولد تسهير الأثر من قوله " من يخبرك " إلى قوله " من يخيرك " . (١)

جـ — أما ما نقله "جولد تسهير" من قول وكيع عن زياد بن عبد الله البكائى من أنه كان مع شرفه فى الحديث كذوبا ". (٢)

فهذا أيضا تحريف من هذا المستشرق، فأصل العبارة كما وردت فى التاريخ الكبير للإمام البخارى: وقال عقبة السدوسي عن وكيع : هو أى وكيع بن عبد الله أشرف من أن يكذب ". (٣)

فهذه بعض الأمثلة الواردة فى هذا القياس الذى اتبعه بعض المستشرقين لكى ينطلقوا من خلال ذلك إلى تجريح علماء الأمة ونقادها بناء على ما فعلته أيديهم بالآثار الواردة عن علماء الحديث بغية الوصول إلى تكذيب ما رووه عن الصحابة وكبار التابعين .

وبعد أن وقعت على بعض من مقاييس المستشرقين التى طبقوها بعد على بعض النصوص الحديثة وبعض الآثار والتى كانت بعيدة كل البعد عن الصواب لأنها ابتعدت عن المنهج العلمى المدعى القائم على الموضوعية والحيادة حيث يقول الأستاذ أحمد مارسيه " إن هؤلاء الأساتيذ" المستشرقين" لم يأخذوا العلم عن شيوخه وإنما تطفلوا عليه تطفلا وتوثبوا فيه توثبا ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسيس ثم أدخل رأسه فى أضغاث أحلام أو أدخل أضغاث أحلام فى رأسه وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله وكل منهم

---

(١) انظر : دراسات فى الحديث النبوى لجولد تسهير (ص ٨٥) وانظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى (ص ٢٢٠) .

(٢) التاريخ الكبير للإمام البخارى (٢ / ٢٦٥) .

(٣) انظر : التاريخ الكبير للبخارى (٢ / ٣٢٩) وانظر دراسات فى الحديث النبوى لجولد تسهير (ص ٤٨) نص الترجمة (ص ٧٩) من دراسة حول جولد تسهير .

إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا فإنما تراه يخبط فيها خبط عشواء، منها ما اشتبه عليه منها رفعه عنده لما شاء وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه حدسا فرجح منه المرجوح وفضل المفضول . (١)

ويقول أنور الجندى : " إن هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبى ليثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويحصون مزاعمهم حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة النبى، ومع ذلك لم يتمكنوا فى إثبات أقل شيء جديد بل إذا أمعنا النظر فى الآراء الجديدة التى جاءبها المستشرق (فرانسيس وإنجليز وألمان وبلجيكيين وهولنديين) لا نجد إلا خلطا وخبطا وعلى هذا الاحتمال فهم قد حاولوا إعطاء صورة خاطئة عما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام " . (٢)

وقد كشف محمد أسد " ليو جولد فانس " السر فى محاربة السنة فقال : إن الهدف هو إسقاطها حتى يفتقد المصلحون الصورة التطبيقية الحقيقية بحياة الرسول والمسلمين ولذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته .

ويقول " لكى يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم فإنهم يحاولون عدم ضرورة اتباع السنة لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتناولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاؤون على أوجه من التفكير السطحى أى حسب ميول كل واحد منهم وبطريقة تفكيره هو وبذلك تنتهى تلك المنزلة الممتازة التى . . . على أنه نظام خلقي وعملى ونظام شخص واجتماعى

---

(١) الرسول فى كتابات المستشرقين (ص ١٦) .

(٢) الإسلام فى مواجهة التغريب (ص ٣٣٥) .

إلى التهافت والاندثار ".(١)

ولا شك أن أخطاء المستشرقين كثيرة سواء ما يتعلق بالصحيح المتفق عليه عند جماهير المسلمين أو الضعيف فيقلبونها على حسب ماتتطلبه نفوسهم للتشكيك في السنة والتاريخ الإسلامي، وقد يخص لنا الدكتور السباعي أهداف المستشرقين عندما زار أوروبا للتعرف عليهم ومناقشتهم فكانت على النحو التالي :

١ ــ إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم .

٢ ــ تحريف النصوص في كثير من الأحيان تحريفا مقصودا .

٣ ــ إساءة فهم العبارات حتى لا يجدون مجالا للتحريف .

٤ ــ تحكمهم في المصادر التي ينقلون عنها فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في قضايا الفقه .

٥ ــ إسقاط جزء من الأحاديث لتصويرها بصورة محرفه .(١)

وبهذا الوقوف على بعض مقاييس المستشرقين للروايات الصحيحة والضعيفة والآثار الواردة عن العلماء أصل إلى أن المستشرقين يبنون أبحاثهم على منهج هش ليس مبنيا على ما يدعون من الموضوعية والحيادة وإنما الغرض منه في كثير من الأحيان يجرح علماء الأمة ونقادها والنيل من الدين الإسلامي بشتى علومه ليفتحوا لهم ثغرة يحاولون بها الوصول إلى مآربهم ، ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ".

فقد وقف علماء الأمة لهؤلاء المستشرقين وردوا بعض شبهاتهم بأدلة

---

(١) انظر الإسلام في مواجهة التغريب (ص ٣٣٦) والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٢٢) ومجلة البعث الإسلامي (ص ٩٤) .

علمية قائمة على الكتاب والسنة والأدلة العقلية الصحيحة والقائمة على التحقيق والتدقيق والتثبت وهذا ما فعله نقاد الحديث من أربعة عشر قرنا فكونوا لنا منهج النقد العلمى القائم على القواعد والشروط السديدة التى تحافظ على العدالة والضبط وما يتبعها حتى يحفظ هذا الدين كما أراده الله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[١].

---

(١) سورة الحجر آية (٩).

الفصل الثالث

المبحث الثانى

اعتماد المستشرقين على المصادر غير المتخصصة فى الحديث و نقدهم فى ذلك

المبحث الثـــــانى

اعتماد المستشرقين على المصادر غير المتخصصة فى الحديث ونقدهـــم فـــى ذلـــك

بعد أن استعرضت بعضا من مناهج المستشرقين فى الـــتراث الإسلامى وكيف يأخذون الروايات ويحللونها على ما يحلو لهم بعيدة عـن المنهج العلمى الذى يقوم على الحيادة والموضوعية الذى ادعوه، وقـد برز فى هذا المنهج جل المستشرقين ونذكر على سبيل المثال " جولد تسهير " وجب ولامانس و غيوم و وات وغيرهم " علما بأن هـــؤلاء المستشرقين قد تطرقوا للدراسات الإسلامية دراسة وتحليلا ولكن مـــع هذا فقد أساؤوا إليها من جانب آخر لأن بعضهم ــ وهو الغالب ــ لا يدرسها للوصول إلى الحقيقة وإنما هو لغرض التشويه والتشكيك ،وهـذا يظهر جليا عندما يدرس المستشرق أمورا تتعلق بمجتمعه فإنه يبذل قصارى جهده لأخذ المادة العلمية من مصادرها لنقل الفكرة كما وردت خلافـا للدراسات الإسلامية التى يحاول أن يدرسها ، ومع ذلك فسرعان ماتأخذه العصبية والغيرة من الإسلام والمسلمين، فلا يأخذ الفكرة من مصدرها الأصلى بل ينقلها من المصادر الدخيلة على الإسلام والمحكوم عليها بعدم القبـول، وهو بهذا العمل يناقض المنهج الذى فرضه على نفسه .(١)

ولكن المستشرقين ابتعدوا عن الموضوعية واتخذوا قاعدة " الغاية تبرر الوسيلة " وجعلوا مصادر الإسلام الكتب التى تخالف ما جاء به الإسلام ويستشهدون بالأحاديث الموضوعة .

---

(١) انظر مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلاميـــة (ص ٢٠٥ ــ ٢٤٧ جـ ١)

وبالرجوع إلى كتب المستشرقين ، مثل كتاب جولد تسهير "العقيدة والشريعة " و " دراسات فى الحديث النبوى " وكتب شاخت وغيرهما، نرى أن أبحاثهم تعتمد فى الغالب على كتب الشيعة والأدب والأشعار التى جرحها علماء الأمة وجرحوا كتابها فلا يقبلون فكرة جاءت من كتاب " الأغانى " وتاريخ اليعقوبى و " وحياة الحيوان ، لأن هذه الكتب لا تعتمد إلا على الروايات الضعيفة .

إن موقف الاستشراق من التراث الإسلامى ليس موقفا سليما من ناحية بل كان موقفهم بعيدا عن الموضوعية والحيادة ، ويظهر ذلك اعتمادهم على بعض الروايات الضعيفة والمضطربة عن هذا التراث وخاصة جوانب الصراع وجوانب الخلاف بين الفرق والاهتمام بالنصوص الفلسفية ومحاولتهم طمس الحقائق التاريخية الثابتة التى هى بعيدة عن علماء المسلمين والتى وقعت فى القرون الأولى المتقدمة من تاريخ الإسلام، وادعى المستشرقون أيضا بأن المسلمين قد طوروا تراثهم الإسلامى بسبب اتصالهم بالعالم اليونانى والرومانى وتهويلهم فى هذا الاتصال إلى حد القول إنه أهم معطيات الفكر الإسلامى .

يقول أنور الجندى : " وفى هذا المجال نجد عناية كبرى بالحلاج الذى وقف المستشرق " ماسنيون " حياته على جميع آثاره وبشار وأبى موسى، وكلها شخصيات موضوعة مضطربة لم تكن بالنماذج الكريمة العالية فى التراث الإسلامى، بل أن الاستشراق أولى اهتماما كبيرا بشخصيات هاجمت الإسلام وخاصمت رسوله كابن الراوندى ومسيلمة الكذاب ، وقدم عنها وعن غيرهما دراسات واسعة ونشرت باللغة العربية وأن أى مراجعة لدائرة المعارف الإسلامية لتكشف عن هذا الاتجاه الرامى إلى إدخال شبهات الإسلام كمادة أساسية فيه، ونجد هذه المماحلات واضحة فى جميع فروع التراث

والقـراءات . (١)

كما أن المستشرقين يحاولون البحث عن أى مصدر يخدم مصالحهم أو يساعدهم فى تحريف الحقائق فى الإسلام أو تزوير بعض الأحاديـــث بمساعدة هذه الكتب المدسوسة على الإسلام ، ولعل من الخرافات الـتى جرى وراءها المستشرقون وأتباعهم فرحين بأنهم التقطوا شيئا ما أطلـــق عليه " معراج ابن عباس "والكتاب مكذوب ولا يتداوله إلا عامة النـــاس وليس له سند يربطه به ولا رواية ترقى إليه وقد احتفل به المستشرقون وقارنوا بينه وبين الكوميديا الإلهية ". (٢)

وبالرجوع إلى كتب جولد تسهير مثل كتاب " مذاهب فى التفسير" و دراسات فى الحديث النبوى " وغيرها نجده يعتمد على الأفلاطونيـة المحدثة والغنوصية والتصوف والفلاسفة وأصحاب المذاهب الإسماعيلية فى تفسير الحديث النبوى وكتب الأدب والتاريخ التى لا يقبلها علمـاء الإسلام . (٣)

وقد بنى جولد تسهير استدلالاته حول الحديث على هذه المصادر بعيدا عن مصادر الإسلام كالقرآن وكتب الحديث المعتمدة وحاول بذلـك تشويه صورة الإسلام والروايات الصحيحة .

يقول السباعى : " والحق أن هذا المستشرق من أقل النـاس حياء فى مجال العلم فهو كما رأيت يخترع الأكذوبة ويتخيلها ويركب لها فـى نفسه هيكلا ثم يلتقط من هنا وهناك ما يوهم أنه يؤيده وبما ادعى ولا يبالى أن يكذب فى النصوص أو يغالط فى الفهم ويستدل بما ليس بدليل ويفـرض

---

(١) انظر الإسلام فى مواجهة التغريب (ص ٣٩٤) .

(٢) انظر مجلة البعث الإسلامى عدد خاص بالاستشراق (ص ٩٣) .

(٣) انظر التراث اليونانى فى حضارة الإسلام ترجمة عبد الرحمن بدوى (ص ٢١٨ — ٢٤١) ودراسات فى الحديث النبوى لجولد تسهير [illegible] .

عما يكون دليلا قاطعا ولكن ضد فكرته، وليس أدل على تحيزه وبعده عن الإنصاف وتعصبه لآرائه أن يرفض نصوصا قاطعة أجمع على صحتها أهل العلم بنصوص ملفقة من كتاب الحيوان للدميرى أو كتاب ألف ليلة وليلة أو العقد الفريد أو الأغانى أو غيرها من كتب الأدب التى تجمع ما هب ودب وما صح وما لم يصح، فهذا شأن قوم يزعمون التجرد للعلم ؟! .(١)

فهذه شهادة رجل مسلم زار المستشرقين فى عقر دارهم وتحدث معهم ووضع ما سمعه من بعضهم من الأفكار التى يستندون عليها ويرجعون إليها ويستشهدون بها .

ويبدو أن جماعة المستشرقين قد فهموا كتب التراث الإسلامى القديمة بغية اقتناص الروايات المضطربة والناقصة والمحرفة واستغلوها لإثبات وجهة نظر مسبقة واستعانوا بكتب الأدب والروايات والأشعار لتكون مصادر لأسانيدهم، بينما هذه الكتب لم تكن فى الأساس مصادر علمية للحديث والتاريخ والفقه بل يحرفون الكلم عن مواضعه .

يقول الدكتور محمد الأعظمى : " حتى الآن لم ينتخب المستشرقون لدراسة ظاهرة الإسناد المجال المناسب، لأن كتابات الشافعي وأبى يوسف تبين بكل وضوح أن كتابات المجتهدين والفقهاء ليست مكانا صحيحا لدراسة ظاهرة الإسناد ، وكذلك كتب السيرة لأن السيرة ليست جمع وثائق فحسب، بل هى جمع وتنسيق الوقائع مع حذف الأسانيد لإعطاء التسلسل للحوادث . أى أنه حتى كتب السيرة لا تفى بالغرض، ولهذه الأسباب يجب أن تدرس الأسانيد والأحاديث والمسائل المتعلقة بهما فى كتب الأحاديث نفسها لا فى الكتب الفقهية الحديثة لموطأ الإمام مالك مثلا .(٢)

---

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى (ص ٢٣٥) .

(٢) دراسات فى الحديث النبوى / لمحمد الأعظمى (ص ٤٣٦-٤٣٧)

ولعل من أهم وسائل المستشرقين حول تراثنا مايقدمون به من نشر الكتب المخطوطة وإخراجها ، ويدل على هذا ما ناله كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى من عناية تنوعت بين التهذيب والتجريد والتلخيص والتقديم والتعريف والتنويه والدراسة ... وحتى صار هذا الكتاب من أكثر الكتب تأثيرا فى الفكر التاريخى والدراسات الأدبية ، مع أن أبا فرج الأصفهانى معروف عند علماء الجرح والتعديل بأنه كذاب يأتى بالغرائب والعجائب بلفظ حدثنا وأخبرنا ، فكيف يؤخذ التاريخ من مثل مرويات هذا الأصفهانى .(١)

كما أننا نجد معظم المستشرقين ينقلون من كتاب الواقدى ليستدلوا به على مزاعمهم فى نقد السنة متجاهلين تماما أن رواياته غير قابلة للاحتجاج بها عند المحدثين لكونه غير ثقة .

أما البروفسور " مرجليوت " وغيره من المستشرقين فيعرفون حكم المحدثين فى الواقدى وكتبه ولكنهم يأخذون آراءهم من كتبه ليوجهوا النقد الكاذب إلى السنة ".(٢)

أما المستشرق : " شاخت " فإنه درس الأقوال الموجودة فى موطأ الإمام مالك وموطأ الإمام محمد الشيبانى وكتاب الأم للإمام الشافعى وفرض النتيجة التى وصل إليها من دراسة الكتب المذكورة على كافة كتب الحديث ، مع أنه يدرك تماما أن هناك فرقا جوهريا بين طبيعة كتب الفقه وكتب الحديث(٣)

---

(١) انظر مجلة البعث الإسلامى (ص ١٤٧ — ١٤٨) .

(٢) انظر اهتمام المحدثين (ص ٥٤٨)

(٣) أصول الفقه لشاخت (ص ٥٥ - ٥٦) .

إذًا هذا يعطينا فكرة واضحة عما يحمله المستشرقون فى نياتهم ضد الحديث النبوى والصحابة الكرام، فهم لا ينظرون إلى الجهود الجبارة التى قام بها علماء الحديث للتمييز بين الصحيح والسقيم حتى لا يكاد يبقى حديث إلا وقد أصدر علماء الحديث أحكامهم فيه من تعديل أو تجريح لرواته، إضافة إلى أنهم وضعوا القواعد والشروط التى تخدم منهج أخذ السنة كاملا بدون استثناء .

إذًا فكتب السنة معروفة عند علماء المسلمين والتى أعطوها عناية تامة ودونوا فيها ما هو صحيح وأخرجوا ما كان فيه نوع من الشك من حيث التضعيف فخرجت إلى الأمة الكتب الستة التى هى المادة الأساسية لكل الأبحاث الإسلامية . ومع هذا فالمستشرقون يغالطون فى ذلك وهم يعرفون مكانة هذه الكتب عند المسلمين .

أما الكتب التى احتوت على الأقوال الفقهية أو الوقائع التاريخية فإن مؤلفيها لم يقصدوا من تأليفها تمييز الروايات الضعيفة من الصحيحة، بل كان قصدهم استنباط الأحكام الفقهية أو البحث عن الحوادث التاريخية حيث فى الغالب لم يراعوا فيها شروط المحدثين لثبوت الرواية بل قد نرى أحدهم يسند هذا الحديث إلى نهايته والآخر يدعه بدون إستاد .

أما الكتب التاريخية فلا يهتم مؤلفوها إلا بسرد الوقائع التاريخية وترتيبها حسب الزمن التاريخى دون أن ينظروا كثيرا إلى أسانيدها ورواتها، ولكن المستشرقين انتقَوْا موادهم لدراساتهم للحديث من كتب السير والأقوال والروايات التى وردت فى كتب التفسير وغيرها من الكتب التى سبق أن ذكرتها .

ولهذا فإن " روبسون " يؤيد فكرة " لامانس " فى قوله

" بأن الحديث والسيرة ليسا مصدرين متميزين " (١)

ويقول " جولد تسهير:" وعلى كل حال فإن أهل السنة لم يستخلصوا من فكرة النور المحمدى كل نتائجها كما فعل الشيعة،ولكنهم كلما تطوروا بمقدار حماستهم بإيجاد نوع من عبادة محمد وتقديسه نراهم لم يكونوا متشددين فى عدم الاقتراب من نظرية الشيعة فى النبوة والتراث اليونانى" (٢)

يقول د/ السلمى : "لقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة والساقطة يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السحر والحكايات الشعبية وكتب المنحولة والضعيفة، مثل كتاب الأغانى والبيان والتبين والبخلاء وعيون الأخبار والكامل فى الأدب وحياة الحيوان ونهج البلاغة وشرحه وغيرها، فهذه الكتب هى مستنداتهم فى الغالب مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة فى الطبرى والمسعودى،مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها ". (٣)

ويقول أنور الجندى : " فقد جرى المستشرقون على إحياء أنواع معينة من التراث ليست من خيرها وفى مقدمتها النصوص الفلسفية وخلافات المذاهب وتضارب الآراء وأبحاث الاعتزال والباطنية، وكل هذا ليس من صميم الفكر الإسلامى ولكن قصدوا من ذلك إحياء تلك الشبهات وإعادة طرح الخلافات القديمة فى وفق الفكر الإسلامى لتمزيق المسلمين شيعا ومن ذلك اهتمامهم بالأدب المكشوف ". (٤)

---

(١) انظر John Ryland Library,: Ibn Ishaq's use of Isnad.
مقالة استعمال ابن إسحاق للإسناد ترجمة أسامة .

(٢) التراث اليونانى (٢٣٠٩) ترجمة عبد الرحمن بدوى مقالة لجولد تسهير العناصر الأفلاطونية المحدثه .

(٣) منهج كتابة التاريخ الإسلامى (ص ٥٠٧) .

(٤) [illegible] التغريب (ص ٣٥٣) .

ويقول د / محمد السلمى حول كتاب اليعقوبى : " وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل فى كتابة التاريخ الإسلامى، وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا فى التاريخ الإسلامى وسيرة رجاله، مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثانى كتب من زاوية نظر حزبية كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي ". (١)

وبهذا أصل إلى أن المستشرقين لم يعتمدوا على المصادر الموثقه المعتبرة عند علماء المسلمين والتى كان ينبغى لهم أن يعودوا إليها، ولكنهم بثوا مادتهم العلمية من الكتب التى لا تتمثل بالمنهجية والموضوعية، بل وزاد الطين بلة عندما يعرضون التراث الإسلامى على التراث اليونانى والرومانى فشتان بين التراثين ، لأن الأول سماوى والآخرين بشريان ، إضافة إلى أنهم يعتمدون على الفلاسفة وغيرهم، وحيث إن الدين الإسلامى مع هذه الفرق فى نزاع وصراع، فهم يريدون أن يقربوا بينهما لكى ينسبوا للإسلام بأنه ليس نقيا كما يقول علماء الإسلام، بل هو دين مختلط كاليهودية والنصرانية .

ولذا فإننا لا نسلم للمستشرقين ما يقولونه فى ديننا، وينبغى لنا التوقف فى قبول أقوالهم وتفسيراتهم بل إسقاطها وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان واضح من الكتب الصحيحة الثابتة .

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامى (ص ٤٣٢) .